

تحويل الخاطبة أفدوكيا
إلى شهيدة

بواسطة محمد بن عبد الله

١٩٧٧

مقدمة

انها فتاة خاطئة كانت في بعلبك ، وهبها الله جمالا ساحرا
استخدمته لإسقاط الآخرين في حبائلها ، عاشت حياتها في استنثار
تتمرغ في الخطية حسبا تريد ، تركت العنان للذات الجسدية
القائلة لنفس والجسد والروح ، وترايدت كل يوم في الشر
والدنس ، فلم تكن تعرف غير حياة اللهو والخلاص حتى بلغت
إلى ذروة الرذيلة ، لكن الله المتحن الرحوم يحب البشر الذي
يعرف ضعف الطبيعة البشرية أشفق عليها وانتشلها بقرته القاهرة
أقنذها من مغالب العدو . اختطف هذه النفس المسكينة من فم
الأسد . دبر لها طريق الخلاص قديس من أهالي القدس يدعى
جرمانوس أخذ يعظها ويعلمها بأقوال وهيبة عجيبة ، ذكرها
بالنار التي لا تطفأ وبالدرد الذي لا يموت وبالعذابات الأبدية ،
وبرحمة الله ومغفرة كل خطاياها وطرحتها في بحر النسيان إن هي
تابت توبة حقيقية . تلبثت إلى الورطة التي وقعت فيها وإلى
سقطتها العظيمة ، فصرخت من الأحماق طالبة منه العون على
خلاص نفسها ، وإذ تابت التوبة الحقيقية اعتمدت وفتح الرب

قلبي فأبصرت ملاكاً صغيراً يجذبها إلى السماء ورأت شخصاً آخر
أسود اللون منظره قبيح مفرغ يجذبها عن الملك فرادها إيماناً
مارأته في العباد والتوبة ، ولما اعتدت وزعت كل ما كانت
جمته على الفقراء والمساكين وذهبت إلى أحد بيوت العذارى
حيث تنقلت من فضيلة إلى أخرى حتى أقتنت الفضائل كلها
وأقامها مرشدة .

وبعد زمن طويل من توبتها وبعد هذا الجهاد والنسك أراد
أحد الشبان أن يدخل أحد بيوت المتبتلين ويختطفها ليتزوج بها ،
وقد دبر فكرته الشريرة فتزيا بزي الخمل الوديع وتمكن من لقائها
وأخذ يتحدثها حديثاً باطلاً ، لكن الرب انتقم منه وضربه ضربة
قاضية فمصر صريعاً .

وسعى بها بعض الأشرار عند الأمير فاستحضرها أمامه ولما
حضرت وجدت في منزله نجيب وبكاه على إبن له كان قد مات في
ذلك الوقت فصلت من أجل الصبي فأقامه الله وآمن الأمور
بالسيد المسيح ، ثم تعين أمير آخر وسمع بظنرها واستحضرها
فأبصرت أمامه جندياً قد كلف بصر إحدى عينيه فصلت أيضاً
من أجله فأبصر وعادت عينه صحيحة كالأخرى . . . أخيراً
استشهدت في أيام الامبراطور تراجان في القرن الثاني ، وتعيّد

لها الكنيسة ويذكر اسمها في السنكسار في اليوم الخامس من
شهر برمات .

وبعدنا هذه السيرة بخطوطه بدير البرموس تاريخها ١٣٩٩ ش ،
وقد صححنا عباراتها وهدبنا ألفاظها وأضفنا إليها إضافات كثيرة ،
بعد مراجعة ما كتبه د . د . أوليري ، في كتابه « قديسو مصر »
وما ورد في سنكسار ريفيه باسيه وسنكسار الكنيسة القبطية
ببركة صلاتها تكون معنا آمين .



القديسة أفدوكيا (١) الشهيدة

١ - ميلادها ونسبها

ولدت القديسة أفدوكيا في بعلبك بالعالم من أب اسمه يوفان وأم اسمها حكيمة ، وكانت سامرية الجنس ، لم يذكر عن عائلتها شيئاً ويبدو أنها كانت من عائلة متوسطة حسنة السمعة . وهبت هذه الابنة جمالا باهراً ساحراً ، ولما بلغت أشدها كانت تهتم كثيراً بالزينة الخارجية والتبرج وتكثُر من الخروج وتركت لأفكارها الشريرة اللعان ولم يردعها رادع ولم يزجرها زاجر ، وسرهان ما دفعها تيار الفساد الجارف وسبغت في خيالات الأفكار الشريرة والإغراء حتى سقطت في المهو وتعرضت في حماة الدنس ، وهكذا تدرجت في الشر حتى وصلت إلى عمق الخطيئة لأنه كما يقول القديس يوحنا ذهبى القم : « بسياسة القديس تدخل إلى حياتنا الشرور مستورة » .

مسكينة حقا هذه الفتاة سقطت السقوط المروع ، وانهار

(١) Eutychia معناها مسرة الله وكتبت أوطوكية في

سكسار رهنه باسمه .

صرح أخلاقها ، فكانت كالمرأة السامرية الوارد ذكرها في الإنجيل المقدس ، وهكذا أوقعت في شركها كثيراً من الشباب وأسرتهم بسحر جمالها واستمرت حياة اللهو والدنس وكانت كل يوم تسقط الكثيرين وتقذف بهم إلى هاوية الرذيلة .

استمرت زماناً وهي لاتحس بخطيئتها وإن التفتت التفاضتها فسرهان ما يدفعها شيطان اليأس في تيار الشر بأكثر قوة تتغفن في ضروب الفساد والخلاعة .

٢ - التيقون يلتهبون بنار العفة بقدوة القديسين

ان الله الذى لا يشاء موت الخاطيء . مثل أن يرجع ويحيى لا يزال يدعو الخطاة إلى التوبة بإظهار رحمة الغزيرة ، خلص برحمته ونعمته هذه الضلالة كما يفعل في كل زمان في كل النفوس التي ألقاها برحمته الغير المحدودة . لقد أظهر لهذه الخاطئة نبيج الماء الحى ، وذلك أنه بتدبير العناية الإلهية مر بمدبنة بعلبك ، ناسك^(١) يدعى جرمانوس من القدس ، نزل في ضيافة صديق

(١) ذكرت مخطوطة دير البرموس أن جرمانوس كان

راهبا كما ذكرت ذلك مراجع أخرى، لكن لما كانت الرهبنة =

له كان بيته ملاسقا لبيت أفدوكيا ، وقام القديس حسب عادته
في منتصف الليل يصلي صلوات حارة من أعماق قلبه ، وبعد أن
فرغ منها ابتداء بتلو قرآيات من السكساب المقدس بصوت مرتفع
قاصداً بذلك ان يبعده عنه وقاد النوم ، وكان موضوع تلاوته
شدة العذاب الأبدي والظلمة البرانية وصرير الأسنان ، ثم عاد
وأخذ يقرأ في كتاب ووحى فيه وصف مخيف لعذابات
الأشهرار في قاع الجحيم حيث النار التي لا تطفأ والدود الذي
لا يموت ...

وان أفدوكيا كانت تتجسس بأذنها على الحائض من نافذة
يحب استطلاع كإمرأة شريرة فسمعت هذه الكلمات ففعلت إلى
قلبها وهزت مشاعرهما هزاً عنيفاً .

أحست بتعاستها وبالهمة السحيقة التي تردت فيها وهمرت

== لم تعرف في القرن الثاني الذي نشأت فيه القديسة ، وان منشأ
الرومنة كان في مصر أولاً في القرنين الثالث والرابع ، وانتشرت
هن مصر في فلسطين وسوريا ، فالقصد أنه كان ممن يعيشون
عيشة الفسك والعبادة حول أورشليم ، وكان كثيرون من الرجال
والنساء يقيمون في التلال المجاورة للندن للفسك والعبادة .

بالخزي والعار الذي أصابها ، أخذت تذكر خطاياها في حسرة
وكانت كالسهم الحادة تمزق قلبها ، إذ كلما تأملت في ماضيها
الآنم امتلا قلبها رعباً واضطراباً فكانت تبكي وتولول ،
وفارقت النوم وتملسها الحزن على ما فرط منها وعزمت من كل
قلبها أن تبذل ثيابها وزيفتها وأن تتوب توبة تقيية من كل قلبها
فلا تعود للإثم مرة أخرى ، وكانت تنتظر بفارغ الصبر طلوع
الفجر وإشراق الشمس للتعرف على القديس الذي تأثرت
بقراءاته .

٣ - القديس جرماتوس يعلم أفدوكيا العفة

ما أن أشرقت شمس اليوم التالي حتى انطلقت بسرعة إلى
المنزل المجاور وهناك قابلته ، وبعد أن حيت سألت عن دينه ومقر
إقامته وسبب تخرجه فأجابها قائلاً : « اني عبد لسيدى يسوع
المسيح وقد تركت حوائج لقضاء بعض الأمور ، والآن فأفقه
منطلق إلى موضع لا أقضي هناك حياتي في ممارسة رياحات التوبة
في مطانيات ، في أصوام وصلوات وتأمل في الكتب المقدسة ،
فقالته له أفدوكيا : « ماذا كنت تلو في سكون الليل . اني لم
أسمع قط شيئاً مثل هذا في حياتي ، وكان لما سمعته الأثر البالغ

في نفسى ولا زلت مرتعدة ومرتعفة وفي خشوف وانخراط
عظيم من هول الدينونة الرهيبة، فأطلب إليك أن تعذبني عما كنت
تقرأه وتعرفني من هذه المذاباة الخالدة . حينئذ أخذ القديس
يوضح لها من الكتب المقدسة كل الأمور المختصة بيوم الدينونة
الرهيبة حيث يجازى الرب كل واحد حسب أعماله ، في ذلك
اليوم الخوف المملوء مجدأ يرسل ملائكته فيجمعون من ملكوته
جميع المعاصر وقاعل الإثم ويطرحونهم في أتون النار ، هناك
يكون البكاء وصرير الأسنان ... ثم أخذ بعدئذ يمدبها وأسبب
في الحديث عن مراحم الله للخطاة التائبين ، فصرخت قائلة :
« أما قد ملكت نفسى الشقية ، فسألها القديس عن دياتنها ،
فأجابته أنها سامرية وديانتها ديانة السامرة وانها قد ارتكبت كل
إثم ، وسألت عن جزائها وعن الخلود في النار المذبذة ، فقال لها
القديس : « لا تضطربي وتوبي من الآن فلا يجرى عليك ذلك
المذاب ، دعى عنك هذه الأفكار وفتي انك تتخلصين من العقاب
الابدى إن تبت عن آفامك توبة صحيحة وبنيت أقدامك على
صخرة التوبة ، لأن سيدنا يسوع المسيح لا يرفض قط تائباً أقبل
إليه ورجع إليه نادماً . فقالت له أفدوكيا : « وما الذى يجب
على عاطنة مثل أن تفعله ، ؟ أجابها جرمافوس قائلاً : اياك أن

تخرجني الى الخطية ، احلبنى السلوط مرة الحسرى ، اهرى من
عظيمة التي لدغت منها لان سمها قاتل ، وكوفى حذرة ما سميت
ابكي ليل نهار على خطاياك السالفة ، واشكرى الرب لأن مراحم
عظيمة فقد أخرجك من الجب ، لقد كسرت فخ إبليس ، توبه
التوبة الحقيقية التي لا رجوع ولا غش فيها ، التوبة التي فيها
كراهية وبغض للخطية القاتلة للنفس ، هذه الخطية التي تصير السيام
كالنحاس والتي تقفل أبواب الرحمة ، هذه الخطية التي أودت
بجياة الكشهرين والتي لقتنهم إلى النار الأبدية التي لا تطفأ والدرد
الذى لا يموت ، وهم يندمون الآن إذ قد أضاعوا فرصة الحياة
وخرجوا من العالم وخطاياهم تدينهم .

عظيمة مراحك يا رب لأنك لا تشاء موت الخاطيء . مثل
ما يرجع وتحميا نفسه .

سلك القديس مسلك الطبيب الذى يضح مشرطه في الجرح
وينظف حوله قبل تضميد الجراح ، ثم أوصاها أن تذهب إلى
كاهن المدينة ليعلمها قواعد النصرانية تميداً لعمادها في الوقت
المناسب .

بعد أن كانت تتخبط في الظلام وبعد أن كان مغلقاً عليها في الحبس وفي أسر إبليس قد حل الرب وثاقها ... سمعت بتبصيرة القديس فتقابلت مع الكاهن . وما أن وقع نظره عليها حتى اضطربت نفسه فرقاً لأنه كان يعرف ما عندها ولأن سيرتها الرديئة كان قد ذاع خبرها ، ولم يكن يعلم بعد بأمر توبتها . تقدمت إليه باكية وسجدت إلى الأرض وكانت تدرف الدموع غزيرة وهي ساجدة ، ومن فرط حزنها لم تكن تستطيع أن ترفع بصرها إلى السماء . أقامها الكاهن وسألها : « ما بالك ولأى أمر قد بحثت عني ، أجايتك السامرية في انسحاق كامل وكانت عبراتها تخنق كلماتها ، كان صوتها متهدجاً لا يستطيع أن يميزه إلا بصعوبة من فرط تأثرها وشدة ندامتها وقالت له : « انى فى شقاء لا نظير له لأنى فرقت فى الشرور والآثام وخطاياى لا مثيل لها ، فقد سقطت السقطة العظيمة ، وانحدرت إلى أحماق الخطية الدلسة . هذه الخطية التى ما تمرغ فيها أحد حتى أذنته فصار أحقر من الحيوان وامتلات حياته خوياً وطاراً لا يحتمل ... لكننى قد قطعت ههدأ جديداً أن أتوب ، قد سمعت عن رحمة إلهكم وهى

أكثر من رمل البحر فأطلب إليك أن تعلمنى وتعرفنى ما ينبغي أن أفعله وسوف لا أتجاوز وصيتك ما سمعت

واشد ما كانت دهشة الأب الكاهن وإذا عرف رغبتهما الخالصة فى التوبة شكر الرب يسوع الذى سمى فى طلب الخروف الضال حتى رده إلى الحظيرة ، وأخذ يعلم الحاطئة النامية بالتوبيح تارة وبالتعزية تارة أخرى . بالدينونة الخفيفة والعذاب المؤبد والرفوح بين يدي الله الحى تارة ، ومراحم الله ومحبه الخطاة تارة أخرى ، وأمرها أن تترك كل تذكار الشر الملبس الموت وتلبس ثوب البر والعفاف ، تبدل ثيابها وتلبس الملابس الحشنة والمسوح حتى يتذلل قلبها وتنسحق نفسها كما فرض عليها قانوناً بأدى ذى يده أن تختل سبعة أيام صائمة مصلية نادبة خطاياها .

انصرف الكاهن وكان معه جرمانوس ووهدت أن تسلك بتدقيق وتنفذ جميع ما أوصاها به الكاهن ، ثم انها طلبت إلى القديس جرمانوس أن يعوه إليها بعد إلتقضاء هذه المدة .

وإن أفدركيا حبست نفسها فى مغارة مدة أسبوع كامل صائمة مصلية حزينة على خطاياها وآثامها وتمت كل ما أوصاها به الأب الكاهن ، وبعد إلتقضاء السبعة أيام صام القديس

جرماتوس إليها ، ولما رأها لم يعرفها لأن هيئة وجهها تغيرت
تغيراً كبيراً من شدة إنسحاق قلبها وحزنها على خطاياها وبكائها
المتواصل ليل نهار ، كانت عيناها غائرتين ، وجهها شاحب
اللون ، أثر الهزال واضحاً وهي لابسة ملابس الحزن ومرتدية
المسوح .

٥ - رؤيا القديسة

وقالت أفدوكيا للقديس: « ليكن الله مباركاً على ما أحسن
به إليّ برحمته في هذه الأيام القليلة ، وأخبرك يا أبي اني بعدما
صرفت ستة أيام في أفعال التوبة حسب ما أوصاني به الآب
الكاهن أشرق عليّ في اليوم السابع بغزة نور باهر وأنا جانية
أصل ووجهي ملتنق بالأرض . ورأيت شاباً لابساً ملابس
بيضاء وطار بي في برهة من الزمن إلى السماء . وهنا رأيت ألوف
ألوف لابسين مثله فرحين بلقائي ويهتفونني . وبينما كنت متأملة
في هذه الرؤيا بتعجب وفرح رأيت أمامي شخصاً قبيح المنظر جداً
خضم الصورة يتذمر على الله لأنه خطف ما كان له . فسمع في
أثناء ذلك حديث من السماء يقول : « احب الله ان يرحم الخطاة
التائبين » . ثم وهدني ذلك الشخص بأنه سيهتف بي على الدوام

إهتماماً خاصاً . وأباني بأن مرشدي الهائي هو رئيس الملايكة
ميخائيل ولم أدر بعدئذ إلا اني رجعت نفسي حيث أنا الآن (١) .
هذا ما جرى لي يا أبي اعلمي الآن ما ينبغي أن أفعله لظهير كثرة
إحساناته إليّ .

أخذ الآب الكاهن يعظها حتى ترسخ في التوبة (٢) .

(١) ان الرب قبل توبة هذه الخاطئة لانه عرف مقدار
توبتها وانسحقها وندمها وهو وحده قاصص القلوب والكلى .
وهكذا شاءت المسرة امامه أن يقبلها كعظيم رحمة لأنها أحبت
كثيراً وليس أدل على عظم محبتها للسيد المسيح الذي قبلها من
أنها قدمت نفسها للاستشهاد كما سترى ذلك فيما بعد .

(٢) إرشاد الكاهن إن كان لازماً وواجباً في كل وقت
لكنه في مثل هذه الاوقات أوجب والزم . وينبغي أن تكون
الخاطئة أو الخاطيء التائب تحت إرشاد روحى دقيق وملاحظة
شديدة في هدأينة قوية لها خبرة بالتجارب . هكذا فعل القس
إيسيدورس عندما رجع موسى الأسود إلى الله تائباً . وكان يقويه
في الجهاد وفي قتاله ضد الشياطين المردة التي ما كانت ترك

وهنا يطرأ سؤال : ما لهذا الناسك وهذه الخاطئة ؟ وهل
يصح أن يترك الناسك أو الراهب الذي اعتزل العالم في الجبال
والصحارى مكان عركته ليستقر في المدن زماناً يطول أو يقصر ؟
ألا يكون بذلك قد خالف العهد الذي قطعته على نفسه بصرف
العمر صوماً وصلوة واختلاء بالله ؟

و يجب هل هذا بأن التاريخ يذكر قصصاً كثيرة عن
خروج الناسك والرهبان من مكان عزلتهم لكن الظروف
ضرورية وملحة .

== حتى نفس واحدة رجعت إلى الله بعد أن كانت في أمرها
وربطتها برباطات الخطايا المنوعة لكن موسى الأسود نسله أب
مخلوق جبار في الروحيات مرعب ومخيف للشياطين . كان يقويه
بكلام الحياة يوماً فيوماً وهكذا جدد القديس إيسيدورس النفس
الأب القس موسى الأسود الذي تذكره الكنيسة في مجمع التديعة
وفي مجمع القديس و تقول : القوي القديس الأنبا موسى .

لقد وعظ الكاهن هذه الخاطئة كثيراً كما وعظها جرمانوس
أيضاً . وما أحوج النفوس إلى استمرار الوعظ وسماع كلام الله .

وزرى أن كثيراً من شيوخ الرهبنة الكبار انطلقوا إلى
العالم لتخليص النفوس التي اقتنصها إبليس وانزاعها من فم
الأسد ، ولعل الرحمة (١) .

زرى في سنكار ٣ مسرى أن ، بايسة ، لما سقطت في الخطية
وهذه كانت متعددة تخاف الله وتصنع صدقات كثيرة ، واتصل
خبير مقربها إلى شيوخ شيبوت القديسين حزقوا حزناً عظيماً
واستدعوا القديس يوحنا القصور ، وبعد ما أطلعوه على أمرها
كلفوه أن يمشى إليها ويصنع معها رحمة عوض ما صنعتها من
الخير معهم ، يقصدون بذلك مساعدتها على خلاص نفسها .

إنطلق القديس إلى المكان الذي تقيم فيه وأخذ يعظها ويطلب
إلى السيد المسيح أن ينقذها حتى تابت على يديه ، ودخل الاثنان
البرية وكانا يصلبان وماتت في نفس يوم توبتها ، وقد صلى إلى

(١) إنطلق القديس أنطونيوس إلى الاسكندرية مرتين
الأولى لتثبيت عزائم المؤمنين أثناء الإضطهاد والثانية للاشتراك
في مقاومة بدعة أريوس الكافر . سافر القديس الأنبا شنودة
ويعيس المتوحدين مع القديس كيرلس الكبير إلى أفسس لمقارمة
بدعة نسطور .

الله صلاة طويلة بسببها فسمع صوتاً قائلاً ان توبتها قد قبلت .
في الساعة التي تابت فيها أكثر من الذين تابوا من سنين كثيرة
ولم يظهروا حرارة توبتهم مثل القديسة .

نرى ايضاً أن القديس يساريون الكبير من قديسي القرن
الرابع مكث في طاعة القديس أنطونيوس زمالاً ثم جاء إلى
القديس مكاريوس الكبير (تليح سنة ٣٩٠ م) ومكث ايضاً تحت
إرشاده عدة سنين ، لما علم بسقوط ثايس ، وكيف
أن سمعها الرديئة قد ذاعت وكانت تسقط كثيرين في الخطية ،
لأنه اتفاض انتفاضه وأراد تخليص هذه النفس من النار ، تزيها بزم
علائق وأخذ يصل من أهلها ويعظها من الكتب المقدسة بقوة
وبحرارة حتى أرجعها من ظلة الخطية إلى النور (١) .

وذكر كتاب بستان الرهبان الجزء الأول ص ٥٧ عن القديس
أغاثون الكبير القصة التالية :

• مضى الأب أغاثون الكبير مرة ليبيع عمل يديه فوجد

(١) أنظر الفصل ٣٠ ص ١٨٥ من كتاب :

Stories of the Holy Fathers
E. A. Wallis Budge .

إنساناً غريباً مطروحاً عليلاً وليس له من يهتم به لحمله وأجر له
بيتاً وأقام معه يخدمه ويعمل بيديه ويدفع أجره المسكن ويفتق
على العليل مدة اربعة اشهر حتى شفى وبعد ذلك انطلق إلى البرية .

• • • •

أما جرمانوس فكان يريد أن ينطلق من بعلبك إلى مسكن
عزله الذي أحبه في أورشليم ، لكن كيف يتأق له ذلك وأمامه
هذه النفس المسكينة التي جرحها اللصوص وتركوها ... فاستمر
يعلمها ويعظها وكانت تتقوى كل يوم حتى خلصت من خطاياها
القديمة ونمت في الفضيلة وأصبحت حياتها كلها صوماً وصلاة
وانسحاقاً أمام الله .

وما أن عرف القديس جرمانوس حياتها الروحية حتى عزم
على السفر إلى القدس وهكذا خلص نفسه من النار كانت غارقة في
بحر الآثام . وبعد أن استقر عزمه على الرحيل ودعها وقالت له
• إن الله سبحانه وتعالى قد أراد أن يردني من الإثم بواسطة
قاهدي إذن إلى أن أصل إلى ميناء الخلاص . قال لها القديس :
• ثق ولا تخافي ، وإنني منطلق بمشيئة الله .

+ + +

ثم أن أمر افدوكيا صار واضحاً ومعلوماً في المدينة كلها كما أن أسقف مدينة بعلبك ، نبؤدوتوس ، علم أينما بتوبتها ومن ثم كان ينتظر النتيجة ، ولما كان على هذه الحال إذا بنماض غلابته يجبره بأنها تريد أن تخاطبه وهي لابسـة ثياب التوبة ، فسمح لها الأسقف بالدخول ، وما أن دخلت حتى جثت أمامه باكية وطلبت منه أن يمددها ، ولما تحقق الأسقف توبتها ووجدتها طارفة بقواعد النصرانية ومشوقة إلى سر المعمودية أمر بتصيدها ثم أنها قدمت للأسقف جميع أموالها الكثيرة وطلبت إليه أن يوزعها على الفقراء ولما نالت سر العماد المقدس ذاع صيت قداسها في المدينة وتحولت كما تحول القديس سموس الأسود .

٧ - ذهابها إلى بيت للعداري (١)

وبعد زمان رجع جرمانوس فوجدتها ثابتة على التوبة

(١) ذكرت المخطوطة وبعض المراجع ددير الراهبات ، لكننا سبق أوضحنا أنه يبدو أن المقصود هو بيت للعداري .

ورغبة في اكتساب الفضائل وانها قد عزمت على أن تذهب إلى أحد بيوت العذارى لتتارس أفعال التوبة حتى تفتنى أيام غربتها على هذه الأرض .

انطلقت إلى بيت للعداري كان قريباً من مكان مرشدها ، سلكت الحياة المقدسة وأصبحت افدوكيا القديسة وسلكت طريق الكمال بأتم نشاط ، وتعلت المزامير في أقل من شهرين . ومع انها كانت قد تظهرت من أدران خطاياها وتناولت من الأسرار المقدسة ، لكنها كانت تعد نفسها غير مستحقة أن تعيش مع قديسات وأرادت أن تكون فيما بينهن كأمة تخدمهن في أدنى الوظائف والخدمة ، أما زميلاتها فكان يمترنها بخير قدوة ومثال .

٨ - اشرافها على بيت للعداري

وحدث أن تليحت الزبينة في ذلك الوقت بسلام وكان من الضروري تدبير أمر من يصل محلها - وإذ لم يكن في طهارة السيرة والتقوى والذسك والعبادة الحارة والإلتصاع الكامل أفضل منها فقد نالت ترقية جميع اخواتها بلا استثناء ووقع الاختيار عليها ، وما أن سمعت بهذا الأمر حتى تذكرت خطاياها وآثامها وتنددت

وأراد الشيطان أن يعيدها إلى حماة الدنس ، فوسوس إلى شاب شرو فظواهر بالنقوى ولكن قلبه كان مملوفاً رياء واخترافاً وكل نجاسة ، فكر في اختطافها ليزوج بها ، وأخيراً عزم على أن يتوجه إلى القديس جرمانوس ويطلب إليه أن يقبله مع الإخوة المنتقلين الساكنين بقرب مكان القديسة، وبهذه الحيلة يستطيع أن يتسلل إلى صفوف القديسين وتكون هذه هي الخطوة الأولى .

انطلق إلى القديس جرمانوس ولما قابله طلب إليه أن يقبله بين جموع الإخوة بعد أن تحدث معه عن رغبته في أن يتعبد لله، قال له جرمانوس: انك لم تول حدثاً وضعيفاً لا تقدر أن تتحمل الحياة التي يحياها الإخوة ... قال له الشاب المعلوم رياء وخبثاً : اني حدث وضعيف لكن رجوع أفدوكيا وتوبتها وطهاره سيرتها تشجمني على أن أقتني أثرها فأرجوك أن تقبلني، وإذا لم أقدر على السير في ذلك الطريق أو لم أحتمل الفسك والتخشف فإني أنصرف ... فأذن له واستقر زماناً . كان مملوفاً غشاً ونجاسة ورياء يسبح في أفكار وتأملات شريرة ، وكان ينظاها بالنقوى والتعفف والفسك .

من أحمق قلبها إذ كيف مع ما ضيها للموت الذي تعرفه جيداً . تستطيع أن تكون مرشدة ورائدة لقديسات ، وان لها بالاختبارات الطويلة التي تؤهلها لتدريب العذارى في طريق البر والقداسة ، فكانت ترفض لتظل نسبياً منسياً تقضى باقي أيام حياتها صائمة مصلية طالبة لمراحم الرب يسوع . ظلت تتوسل طالبة اعفائها ، لكن بقدر اصرارها على طلب الإغناء بقدر ما كان العذارى يزدن تمسكاً برياستها لأنها كانت قد نالت منزلة كريمة في قلوب الكل ، وأحبها الجميع بحبة قوية لنضالها التي ذاعت وانتشرت مثل البخور الزكي الطيب الرائحة . أخيراً لم يجد مفرأ من قبولها الإشراف عن قهر واضطرار وأصبحت منذ هذه اللحظة تلقب بالأم أفدوكيا .

اندفعت أفدوكيا في عبادات كثيرة حارة أكثر من الأول وازدادت في الإنضاع والانسحاق وصار من منظرها يتعلم المتوانيات الحرارة في العبادة والسهو والصوم والصلاة ، سارت خبير قدرة بالعمل وليس بالكلام، وهكذا إزدهر بيت العذارى في عهدا وكثر مددهن وكانت رعيتها شاملة ومحبتها وعظمتها عليهن فائقة وظلت على هذا الحال زماناً .

وحدث بعد هذه الأمور أن الشيطان حرك فيه الأيصال
الشريرة وكان يدبر طريقة ما لثقاته مع أفدوكيا ، أخيراً تقدم
إلى جرمانوس قائلاً له : لقد سمعت بهطارة سيرة القديسة
أفدوكيا وكيف أنها نقلت كثيرين من سلوكهم الرديء إلى حياة
البر والتقوى وكيف أنها صارت مضرب الأمثال في العفة
والتواضع والفسك ومداومة السهر والصلاة ، والآن أرجو
أن فأذن لي بمقابلتها لئيل بركتها ، ولما اطمان جرمانوس إلى
طلبه اذن له بمقابلتها وكان عرضه إرجاعها عن طريق الله إلى
طريق الشر .

حصلت أفدوكيا من الاثتسار بخلصها من الخطية

أيها الشاب الشرير ، إلى أي مكان انطلقت ونفسك ملوثة
أيها الشقي؟ إلى أماكن الإخوة الذين كرسوا ذواتهم للسيد المسيح
ولم تنتسح نفسك؟ إلى الأماكن حيث ينبغي أن تكون تتوبة
الصادقة والانسحاق الكامل أمام الله ، إلى الأماكن التي يقصدها
عجو الحياة الذكبية الفضلى . كيف تجامست أن تدخل

هذه الأماكن بأفكارك الشريرة؟ كيف تسهر سهر التأمل في
الشرور؟ ...

كنت تنظلم بالروح وبالطهارة ولم تخف الله ، يالك من
شقي !! لم تفكر في شيء من دينونة الله الخفيفة ولا في انتقامه
المروع . لم تعد من يوبخك أو ينتهرك لأن قلبك كان قاسياً وكنت
تحيا حياة الرياء ، أظهرت لنفسك كعمود من نور وقلبك كان
مغطياً بالأفكار الدنسة ، لم تبك على ذنوبك ولم تعلم أنك ميت ...
وهكذا ظلت نيران الشهوة متأججة داخل قلبك الرديء ...
كنت أعمى لسكنك لم ترد أن تصرخ مثل أولئك للعيان الذين
لما علموا أنه السيد المسيح يبرص صرخوا يا ابن داود ارحمنا والرحال
أعاد السيد الرب إليهم نور أعينهم ...

مسكين أنت ، الرب يخاطبك كما يخاطب قايين ، إن أحسنه
أفلا رفع وان لم تحسن خطية رابسة وإليك اشقياتها ...

بجياً كيف استقرت هذه الأفكار في نفسك الشريرة !!
كرم الرب المقدس يطلب القصاص العادل منك لأنك أردت أن
تحوطه إلى حديقة لوزان إبليس ... وكنت مسروراً ومكتفياً
بمدح الناس ...

أى عقوبة تستحقها أيها الشرير لأنك أردت أن تخسره
بيوت الله ؟ ...

على قدر ما كان القديس جرمانوس طبيب القلب على قدر
ما كنت ممتازاً في الرياء والغش ، دخلت خلصة إلى صفوفه
القديسين أيها البائس ، حاولت ذاتك إلى ملاك نور ، وبينما كنت
مستغرفاً في الشرور أردت أن تكون معلماً للاستقامة ، لم تكن
سوى ذئب في ثياب حمل وديع وأردت أن تخطف القديسة . لكن
الرب أنزل بك قصاصه حتى لا ترتكب شروراً أخرى .

هكذا نزل بك قصاص الله الصادل الوارد في العبرانيين
ص ٦ : ٦ - ٨ ، لأن الذين استنبروا مرة وذاقوا الموهبة السامية
وصاروا شركاء الروح القدس وذاقوا حكمة الله الصالحة وقواته
الدهر الآتى وسقطوا لا يمكن تجديدهم أيضاً لتربة إذ هم يصلبون
لأنفسهم ابن الله ثانية ويظهرون به ، لأن أرضاً شربت المطر
الآتى عليها مراراً كثيرة واتجت عشياً صالحاً للذين قطعتم من
أجلهم تنال بركة من الله ، ولكن ان أخرجت شوكة وحسكا ففى
مرفوضة وقريبة من العنة التى نهايتها للحريق .

وقف الشرير أمام القديسة وبعد قليل من التحية الطيبة
المتفتحة ابتداءً يحاطبها بكلام دس ...

وتقول المخطوطة :

... أما هي لما سمعت منه هذه الأقوال أبكت بأقواله
خفيفة وخز ميثاً على الأرض ... ، ضربته الرب وصرعه لوقته لأن
خطيئته جلبت عليه غضب الله لإهائه أماكن الله المقدسة ...
وهكذا خلصت القديسة من الفخ الذى نصبه لها إبليس ونجده .
بقوة مراحم الله الذى جذبها إليه برحمته الغير المحدودة ، فلم يتخل
عنها في ساعة التجربة العنيفة الخيفة لأنها كانت متمسكة به وكانت
منسحقة وأذلت نفسها بالدموع والبكاء ليل نهار ...

١٠ - اضطهاد أوريليانوس الوالى

بعد هذه الضيقات حرك الشيطان والى المدينة أوريليانوس
إضطهادها لما عرف أنها تعمدت وأصبحت مسيحية وظن أنها
أخذت معها أموالها الوافرة ، فأرسل بعض الجنود إلى حيث تقم
يلتحقوا بها الأذى ويحضروها للوالى ليستولى على مالها ، لكن
الله الذى لا يتوكل أصفياه . كاشفها بهذه التجربة ، وخلصها من
أيدى الجنود .

ما أن اقترب الجنود من الدير حتى وثب عليهم تينم وقتل
بعضاً منهم فهرب الباقون وقتلوا راجعين إلى الوالى وأبلغوه
بما حدث .

لكن هذه القديسة لما علمت بهذا الأمر ولأنها كانت تريد أن تكون عروساً للسيح مضت إلى مكان أدوكيا وعمرت فيه من وجهه - أما ديوجينيس فإنه ظل يتقمها ويبحث عنها ويسعى جبرته في كل مكان ليتمسك عليها ويسوقها إلى قصره ليزوج بها ، وظل يبحث عنها زمناً حتى عرف مقرها فأرسل حسين جندياً ليسكو أدوكيا وليأتوا بها إليه وينقروا منها شر النظام ، وأعلم الرب أدوكيا في رؤيا بما هي مزممة أن تنكبه من أجل اسم القديس ووعدها بأن يده لن تقصر عن إيقاظها وأرسلها إلى تخلف ولا تضطرب بما سوف يحدث لها .

ولما وصل الجنود إلى القديسة وأبلغوا أمر الحاكم طلبته إليهم أن يترفقوا بها ويتهلوا عليها قليلاً حتى تسلم . دخلت الكنييسة المقدسة واستودعت نفسها لسيد المسيح له المجد وتنازلت من الأضرار المقدسة ثم مضت مع الجنود إلى الوال . وطلب الوال منها أن تجهد لسيد المسيح .

وبعد أن ألهما من اسمها ودانتها توعدتها بالحداب وبالمرتد . إذ لم تجهد دينها وتعبد الأستنام ، أما من فاجابته : . أفضل ليد ما تزيد فأنا لا أعبد إلهك ولا أعاف عدوياً لك . .

لم يصدق الوال هذا الخبر وعزم على إرسال ابنة وفلا أرسله مع عدد كبير من الجنود إلى مكان القديسة... وبينما كانوا سائرين في الطريق وفي مساء اليوم الأول من سفره أصابه رفقة فرس غولج قليلاً .

وتحس الخطوطه تقول :

و لا عرف أبوه هذا قام ليضي هو أيضاً وينتدك بأدوكيا لكن واحداً من أسدقائه المقربين يدعى فيلوسترانوس ، أمسك من تنفيذ عزمه وأشار عليه بأن يلتصق . إلى القديسة ويطلب منها أن تقيم ابنة من الموت... وبصلاهما قام ابن الوال من الموت ، وأمن الوال بالسيد المسيح هو وكل أهل بيته وجمع كثيره بسبب هذه العجوبة ، وبعد زمان قليل أدرسته الولاة .

١١ - طلوتمها تنفتت ديوجينيس الوالى
وما حدث من الآيات

كان الوال ديوجينيس Diogenes يفضى السجينين بفضلاً شديداً وعزم على القضاء عليهم ، وكان هذا الوال يهوى أخت أوريليانوس المنقمة ذكره واسمها ديلاسيا ، وأراد أن يتزوج بها على أنه لم يكن يعلم أنها كانت قد اعتقدت وصارت مسيحية .

حالما سمع ذلك من القديسة أمر بتعذيبها بأشد أنواع العذاب
ثم ربطها الجند وأخذوا يمزقون جسدها بالسياط ، أما هي
فكانت تحتمل الضربات بالصبر والاحتمال - وحدثت عندها
زوبعة قوية وأحاصرها شديدة اقتلعت الأشجار وخربت ودمرت
بمخيلكات كثيرة وهلك عدد كبير بسبب هذه الصاعقة ، أما
القديسة أفدوكيا فلم يمسها سوء لأن ملاك الرب كان يظل عليها
وكان الرب حارسا وحافظاً لها حتى تعجب الناس وآمن بعض
الجنود بسبب ذلك (١) .

ولما رأى أحد الجنود هذه الآية وقف أمام أفدوكيا
وأعلن إيمانه بالمسيح فشجسته القديسة وأخبرته بأن يتوجه إلى
أسقف المدينة ليحمله قواعد الإيمان المستقيم ثم يمده . وهكذا
اعتمد وتحول إلى جندي صالح ليسوع المسيح .

وبعد هذه الحوادث والمعجزات أطلق الحاكم سبيلها فعادت
إلى منزلها وعكفت على التعبد والصلاة والاصوام الشديدة

(١) ذكره د. أوليري ، في كتابه ، قديسومصر ، ص ١٣٨
أله حدث لما كانت مقبرحاً عليها في السجن أن أحد الجنود كان
يعهن واحدة ، صلت إلى السيد المسيح لأجله فشفيت ، كما ذكر
هذه القصة السنكسار أيضا .

ومارست كل ضروب التشرف والنسك وتمكنت من قلبها المحبة
كقول بولس الرسول في رومية ٨ : ٢٨ ، ٢٩ .

١٢ - استشهاد القديسة

بعد زمن ليس بقصير آن الوقت لتقدم ذاتها للوث من أجل
السيد المسيح .

أن تحول هذه الثابتة وتغير سيرتها وتوبتها ليشجعنا على أن
نقرب ، هما كانت خطايا ثقيلة .

انك يا سيد لا تزن ثقل الخطايا اسكن تنظر إلى مقدار محبة
الراجع إليك والنادم ، ذاك الذي كره الخطية كراهية تامة ونفى
قلبه بالسكينة وأحبك من كل القلب ومن كل الفكر ومن كل القوة .

بالحق أن صاحبة السهرة فافتتساء غاططات كثيرات أصبحن
قديسات لأنها تقدمت إلى ميدان الإستشهاد راضية مطمئنة فرحة ،
فكانت لإكليل الشهادة وأصبحت في صفوف الشهداء .

لنقف قليلا صامتين متأملين ما أسعد هذه النهاية التي انتهت
بها حياتها ، وما أجدد هذه اللحظة التي سلت فيها ذاتها للاستشهاد
وحسبت أملا أن تكون مع الشهداء .

أنت الساعة وولي حاكم جسدك اسمه فيسبيوس من قبل

تراجانوس الملك (١)، فأراد استئثارها لتسخر الإيمان وتعبد
للأوثان ولكن لم تفلح كل الإغراءات فإنها حسبت كل شيء نفاية
لترجح المسيح وكانت تنتظر هذه اللحظة التي تكون فيها دوماً مع
المسيح الذي أحبها وانتشلها .

ولما علم الحاكم باصرارها وثباتها على ديانتها صمم على قتلها
صراً مخافة أن يحدث شغب إذا قتلها جهاراً فأرسل جنوداً وقطعوا
رأسها المقدسة في اليوم الخامس من شهر برمهات في السنة الرابعة
عشر من الجليل الثاني للمسيح بركة صلاتها تكون معاً آمين ٩



(١) في آخر القرن الأول لما كثر عدد المسيحيين امتد إليهم
لهيب اضطهاد القيصر تراجانوس واشتد عليهم واستشهد في ذلك
الاضطهاد أيضاً البابا كرزولوس البطريرك الرابع (في ٢١ بؤونة
سنة ١٠٦ م) .